قبسات من مواكب النبوة

نَبيُّ الله

نـــــوح عليه السلام

بقلم

ابراهيم يوسف نصير

عبدالجواد محمد الحمزاوي

مكتبة العبيكان

OBEIKAN.COM

ⓒ مكتبة العبيكان، ١٤٢١هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

نبي الله نوح عليه السلام/ لجنة التأليف والترجمة في مكتبة العبيكان - الرياض

٢٨ ص، ١٧× ٢٢ سم ،- (سلسلة قبسات من مواكب النبوة للفتيان)

ردمك: ٣-٦٧٩-٢٠-٩٩٦٠ (مجموعة)

٧-٦٨٠- ٢٠-٩٩٦٠ (ج١)

١- قصص الأنبياء ٢- نوح (عليه السلام) أ- السلسلة

ديوي ٥ .٢٢٩ ٢١/١٦٩٢

ردمك: ٣-٦٧٩-٢٠-٩٩٦٠ (مجموعة) رقم إيداع ٢١/١٦٩٢

٧-٦٨٠- ٢٠-٩٩٦٠ (ج١)

الطبعة الثانية

١٤٢٣هـ / ٢٠٠٣م

حقوق الطبع محفوظة للناشر

الناشـــر

مكتبة العبيكان

الرياض - العليا - طريق الملك فهد مع تقاطع العروبة

ص.ب ٦٢٨٠٧ الرمز ١١٥٩٥

هاتف ٤٦٥٤٤٢٤ فاكس ٤٦٥٠١٢٩

OBEIKAN.COM

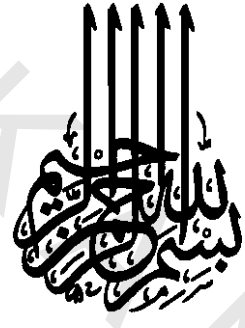

OBEIKAN.COM

OBEIKAN.COM

مولده ونسبه:

وُلِدَ نوحٌ عليه السلام بعد وفاة آدم عليه السلام بمائة وست وعشرين سنة على ما ذكره بعض المؤرخين، وقد ورد في السُّنَّة الصحيحة أنه كان بينه وبين آدم عشرة قرون.

وينسب نوح عليه السلام إلى شيث بن آدم أبي البشرية عليه السلام.

من هم قوم نوح؟

يُقال: إن قومه كانوا يُسَمَّون بني راسب، وكانوا يعبدون الأوثان، ويُروى أيضاً: أنهم أول من عبد الأصنام بعد آدم عليه السلام.

ويُقال: إنهم أجمعوا على العمل بما يكره الله؛ من الفواحش وشرب الخمر والاشتغال بالملاهي عن طاعة الله، هذا بالإضافة إلى كفرهم.

أحوال العالم قبل نوح:

أخذَ أدمُ وبنوه يعمرون الأرضَ وينتشرون فيها.. يتزوَّجون، يتناسلون، ثم يكبرُ أولادُهم فيتزوَّجون ويتناسلون حتى كثرت الذريةُ وانتشرَ الإنسانَ على وجهِ الأرض.

OBEIKAN.COM

كان آدمُ – عليه السلامُ – يعلِّم أولادَه من علمِه الذي علَّمه الله إيَّاه، وخبرته التي اكتسبها في حياتِه، فهو أبوهم وهو نبيُّهم.. يأمرهم بأن يأخذوا الأمرَ بجدٍّ، وأن يسعوا في الأرض ما وسعهم السعيُ؛ ليستخرجوا البركاتِ التي أودعَها اللهُ في الأرضِ حين خلقَها، فترتقي حياتهم ويحقِّقوا استخلاف اللهِ لهم فيها. ويحذِّرهم من إبليسَ، كما حذَّره اللهّ منه من قبلُ، فهو لهم عدوٌّ مبينٌ، ويُكِنُّ لهم كلَّ حقد.

وَعَى أبناءُ آدمَ الدرسَ جيِّداً، وظلُّوا على عهدِ الله وعهدِ أبيهم مؤمنينَ مطيعين، منيبينَ إلى خالقِهم ورازقهم، لا يشذُّ عنهم إلا قليلٌ؛ كما فعلَ قابيلُ مع هابيلَ.

مات آدم أبو البشر، وحزن لموته الجميع، إلا إبليس فإنه اغتبط لذلك، ورأى أن الفرصة قد واتته لإضلال بنيه.

ولننظر الآن كيف فعلَ إبليسُ ذلك، كيف سعى في إغواءِ بني آدمَ حتى ضلُّوا وعبدوا غيرَ خالقِهم ورازقِهمْ.

نشأ بعد آدمَ عبادٌ صالحونَ، اجتهدوا في عبادةِ ربِّهم، والقيام بالحقِّ والنصحِ لإخوانهِم من بني البشرِ، لذلك أحبَّهم الناسُ حباً جماً؛ لصلاحِهم وتقواهم ونصحهم.

وأسماءُ هؤلاء النفر الصالحون هم: وَد – سُواع – يَغُوث – يَعُوق – نَسر.

مات هؤلاء الصالحون، وجَزِعَ الناسُ لموتهم، وتأثروا تأثراً بليغاً بفراقِهم. ورأى إبليسُ أن الفرصةَ قد حانتْ له لإغواءِ الناسِ، وليُدركَ ثأرَه منهم، فأخذ إبليسُ يزيِّنُ للناس أن يتخذوا لهؤلاء الصالحينَ تماثيلَ تذكِّرُهم بالاقتداءِ بهم، حتى لا يُنسون وتذهبَ أخبارُهم.

وتمضي الحياةُ، ماتَ أولئك الآباءُ، وبقيتْ هذه التماثيلُ في دورهم، وذهبَ العلمُ، وظهرَ الجهلُ، وابتعدَ الناسُ شيئاً فشيئاً عن التوحيد.

وهنا لعبَ إبليسُ لعبتَه؛ أخذَ يوحي إلى الناس؛ ويوسوسُ لهم بأنَّ هذه التماثيلَ وتلك الأنصابَ ما هي إلا آلهةٌ عبدها آباؤُهم، وبهم كانوا يستسقُون المطرَ، وهم الذين يدفعون عنهم البلاء.

وصدّق الجُهَّال هذه الافتراءات، وعبدوا تماثيلَ ودٍّ وسُواعٍ ويغوثَ ويعوقَ ونسرٍ.

وظلوا على هذه الحال فترةً حتى تداركَهمُ اللهُ برحمته، وأرسل نبيَّه نوحاً إليهم؛ لينذرهم ويرشدهم قال تعالى: ﴿**إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ أَنْ أَنذِرْ قَوْمَكَ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ**﴾.

تكليف نوح بالرسالة:

أراد اللهُ ، الرحمنُ الرحيمُ، الغفورُ، التوابُ، أن يرحمَ الأرضَ وساكنيها، وأن يُبيِّنَ لهم ما هم فيه من ضلالٍ، ويدلَّهم على الطريق المستقيمةِ الموصلة إلى النعيم فوقَ الأرضِ في الحياةِ الدُّنيا، وإلى الرضوانِ والجنة بعد الممات، وذلك بإرسال أخيهم نوحٍ إليهم.

خيرُهم، ومن خيرِهم أباً وأماً وقوماً، رجلٌ منهم، نشأَ فيهمْ وعرفوه حقَّ المعرفةِ، عرفوا أنه صادقٌ أمينٌ، نقيُّ السريرة، يحبُّ الخيرَ للناس كما يحبُّه لنفسه، يكرهُ الظلمَ والظالمينَ، ويجاهدُ ما وسعَه الجهدُ في دفعِ الظلمِ عن نفسهِ وعنِ الناسِ.

لم يكنْ نوحٌ في أمرٍ إلا أتى اللهُ بالخيرِ على يدْيه. وهكذا شأنُ جميعِ الأنبياء. بشرٌ اختارَهم اللهُ على علمٍ على العالمينَ، فاللهُ أعلمُ حيثُ يجعلُ رسالتَه، يعصمُهم من الخطأ والخطيئة، ويحلِّيهم بكلِّ مكارمِ الأخلاقِ، حتى إذا ما بلغوا أشدَّهم، وناؤوا بدعوتِهم وجهروا برسالتهم، لم يكنْ هنالكَ ما ينفِّرُ الناسَ من دعوتِهم، بل كانَ كلُّ شيءٍ في هؤلاءِ الرسلِ يدعو قومَهم إلى تصديقِهم، والإيمان بالحقِّ المنزّل عليهم.

الدعوة إلى الخير:

أخذَ نوحٌ يدعو قومَه إلى دين الله، يدعوهم إلى ما يحييهم وينجِّيهم، يدعوهم إلى ما فيه رفعتُهم وسموُّهم في الدنيا والآخرة، في دأبٍ وصبر. أخذَ يبينُ لهم أن سببَ كلَّ ما همْ فيه من ضنكٍ وشدةٍ، وقلقٍ واضطرابٍ إنما هو بسببِ عصيانِهم وكفرِهم وبعدهِم عن دينِ الله.

ويبينُ لهم أنَّ السبيلَ يسيرةٌ للعودة إلى طريق الفلاح، ما عليهم إلا أن يستغفروا اللهَ الغفارَ، ما عليهمْ إلا أن يطلبوا الصفحَ من الكريمِ الذي يقبلُ التوبةَ ويغفرُ الذنوبَ جميعاً، فإذا بالسماءِ – التي كانت قد امتنعتْ عن إرسالِ الماءِ – تجودُ بأمر الله وإذنهِ مدراراً مباركاً، وإذا بالأرضِ التي كانتْ قد أجدبتْ وأقفرت وضعُفَ نتاجُها ومحصولُها تخرجُ بالبركاتِ الكثيرةِ والخيرِ العميم. فينعمَ الجميع ويأكلوا من فضل اللهِ ورزقه.

كان نوحٌ يُبيِّنُ لهم كلَّ دواعي الإيمانِ باللهِ والإنابةِ إليه، ببيانِ الرسلِ، وحكمة الأنبياء وأدبهِم وصبرهم، ولكنهم كانوا كافرين معاندين.

كان يدعوهم إلى تركِ الشركِ وإفرادِ الله وحدَه بالعبادة؛ لأنه هو وحدَه المستحقُّ للعبادةِ. فهو الخالقُ الرازقُ المعزُّ المذلُّ الحيُّ القيومُ.

يدعوهم لأنْ يؤمنوا أنه لا إلهَ إلاّ اللهُ وحدَه لا شريكَ له، وأن يَدَعُوا إبليسَ وجنوده، وهذه الأسماءَ التي سمُّوها، واتخذوها آلهةً يشركونَها مع اللهِ في الأمر..

أخذ نوحٌ ـ عليه السلامُ ـ يدعو قومَه إلى عبادةِ الله الواحدِ الأحدِ الفردِ الصمدِ، بأنواعِ الدعوةِ المختلفةِ، ولكنهم كانوا معاندين جاحدين كلما بالغ هو في دعوتِهم بالغوا هم في تكذيبهم وكفرانهم وجحودهم.

ولننظرِ الآن في القرآنِ الكريم؛ لنرى كيفَ كانَ ـ عليه السلامُ ـ يدعوهم وكيفَ كانَ ردُّهم عليه:

﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥٩﴾ قَالَ الْمَلَأُ مِن قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾

[**الأعراف**: ٥٩، ٦٠].

التوجه بالدعوة إلى الأشراف وغيرهم:

توجَّهَ نوحٌ بدعوتِه تلك إلى أشرافِ قومِه وإلى ساداتهم، إلى الملأ من قومِه، كما توجَّه إلى السوادِ الأعظمِ من الناسِ، أولئك الفقراءِ والضعفاءِ.

موقف الأشراف من الدعوة:

ماذا كان ردُّ الفريقين؟ قال الملأُ (السادةُ والأشرافُ): ﴿**إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ**﴾[**الأعراف**: ٦٠].

وقال نوحٌ ـ عليه السلام ـ:﴿**قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ**﴾[**الأعراف**: ٦١].

قال نوحٌ: كيفَ تقولونَ هذا الكلامَ؟ وأنتمْ تعرفونني حقَّ المعرفة؟! تعرفونني منذ كنتُ صغيراً ثم شاباً ثم رجلاً، والآن بعد أن بلغتُ أشُدّي تزعمونَ هذا الزعمَ.!

الحقُّ أنه ليستْ بي ضلالةٌ، وأنتمْ أول من يعلمُ هذا، ولكنكُم تجحدونَ الحقّ وتستكبرونَ أن يُنزلَ ربُّكم عَليَّ – وأنا رجلٌ منكم – وحيه – ولكنَّ اللهَ يختصُّ برحمتهِ ورسالتِه من يشاء.

والحقُّ أنكم ينبغي أن تشكروا لله نعمتهَ وفضلَه أنْ أرسلَ إِليكمْ رجلاً منكمْ، لينذركم عذابَه قبلَ أن يحلَّ بكمْ.

موقف الضعفاء من الدعوة:

أما الضعفاءُ والفقراءُ، فآمنَ قسمٌ منهم، وقسمٌ ظل متبعاً سادته وكبراءَه، يشايعُهم في ضلالهم وفسادهِم وظلمِهم ولا ينظرُ إِلى الظلمِ

الواقعِ عليه، والفسادِ الذي يحيطُ به، والضَّنْكِ الذي يحياه. وينافقُ لهم بعد إذ نادى نوحٌ بما نادى به، ولا يتذكرُ نظرتَهم له قبلَ ذلك، ولا يتدبَّرُ تصرفاتِهم وأفعالهم تجاهه؛ ليعلم أنهم كاذبون مخادعون، وأنهم لا يريدون صالحه كما يقولون، ولا يدفعونَ عنه كما يزعمون.

حتى أتَى أمُر الله فنجَّى المؤمنينَ وأهلكَ كلَّ الكافرين، التابعينَ والمتبوعين.

قال نوح: ﴿قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦١﴾ أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٢﴾ أَوَ عَجِبْتُمْ أَن جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٦٣﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَنجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا عَمِينَ﴾

[الأعراف: ٦٠-٦٤].

جهاد نوح في سبيل الدعوة:

ولننتقلِ الآنَ إلى موضع آخرَ في قرآننا الكريم، لنرى كيفَ قصَّ علينا جهادَ نبيِّه العظيمِ.. نوحٍ عليه السلام.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢٥﴾ أَن لَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ ﴿٢٦﴾ فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ مَا نَرَاكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا

وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلاَّ الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ الرَّأْيِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ﴾[هود: ٢٥-٢٧].

كان نوح رحيماً بقومه، يشفق عليهم مما سوف يحل بهم إنْ هم لم يستجيبوا لدعوة الله. إنه يدعوهمْ حتى ينجوا بأنفسهم من عذابِ يومٍ أليم، ولكنَّ الكفارَ في قومه لا يناقشونَ الدعوةَ ولا يتعرضونَ لها، لا يملكونَ إلا الاستكبارَ والعلوَّ.

لم يجدْ هؤلاءِ الكافرونَ إلا أن يبرِّروا كفرَهم بأنَّ أتباعَ نوحٍ الذينَ آمنوا به وصدَّقوا بدعوتهِ هم الضعفاءُ، وأنَّ نوحاً بشرٌ مثلُهم.

هم الآن يواجهونَ نوحاً وحدَهم، فلا بأسَ من أن يصرِّحوا بما في أنفسهم المريضة من الكِبْر والاستعلاءِ، ولكنهَّم حينَ يكونونَ مع باقي قومهم من السوادِ الأعظم من الفقراءِ والضعفاءِ والمساكينِ المخدوعين؛ فلا بأس من التملقِ والخداعِ، والظهورِ بمظهرِ من يبحثُ عن المصلحةِ العامةِ، المدافعِ عن تراثِ ومجدِ الآباء.

لم يقل نوح لهم شيئاً سوى أنه بشر.. هو بشر، ولكن اللهَ أوحى إليه وأمرَه بأن يدعوَ قومَه، فهو يستجيبُ لأمرِ ربه، ويبيّن لهم ما ينجِّيهم وما يرديهم.

إنه ـ عليه السلام ـ لا يستطيعُ أن يحملَ نفساً على أن تؤمَن وهي راغمة، فمن شاءَ فليؤمن، ومن شاءَ فليكفرْ، ولكلٍّ جزاؤه عند ربِّه يومَ القيامة. ثم إن هؤلاءِ الضعفاءِ المؤمنينَ برهنوا على أنهم أرجحُ عقولاً وأعلى نفوساً، وهمماً من أولئك السادةِ الكافرين، فقد اتبعوا نوحاً بعد أن آمنوا به وبدعوته، وعرفوا اللهَ خالقَهم واقتنعوا بأدلةِ نوحٍ على فسادِ ما همْ فيه من إشراكِ هذه الأصنامِ معَ صاحبِ الأمرِ في الأمرِ.

آمنو به وهم يعلمونَ أنهمْ سوفَ يلاقونَ عنتاً وتضييقاً من قومِهم جزاءَ إيمانهم، لكنهم رضوا أن يتحمَّلوا ذلك كلَّه في سبيلِ ربِّهم وفي سبيلِ دعوتِهم، وفي سبيلِ أن ينجوا بأنفسِهم من عذابِ اللهِ، وفي سبيلِ أن يقتنعَ واحدٌ من قومِهم بهذه الدعوة الحق فينجو معهم من غضبِ الله وعذابِه.

لا طبقية في الدين:

اشترطَ عليه الملأُ من قومِه أن يطردَ الضعفاءَ الذين آمنوا حتى يستجيبوا ويؤمنوا به، فما هو موقف نوح عليه السلام؟ ﴿ **فَقَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ مَا نَرَاكَ إِلاَّ بَشَراً مِّثْلَنَا وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلاَّ الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ الرَّأْيِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ** ﴾ فأجابَهم نوحٌ عليه السلام

بالرفضِ القاطع، وبيَّن لهم فضلَ هؤلاءِ المؤمنينَ به، وإنه إن طردَهم فَمَنْ ينصرُه من الله. وبيَّن لهم أن مكانةَ منْ آمنَ بدعوةِ الحقِّ فعملَ لها خيرٌ ممن اتَّبع هواهُ وشهواته، وعملَ لعدوِّه إبليسَ، وصارَ عنه وكيلاً، ثم هوَ يومَ القيامةِ من النادمينَ الخاسرين؟!

وكيفَ يطردُ نوح هؤلاءِ القومِ الصالحين، استجابةً لمكذبينَ فاسقين؟!

لا والله، إنه لا يفعلُها، ولا ينبغي له ذلك، ولكنه يجاهدُ ما وسعهُ الجهد، ويترفَّقُ معهم في الدعوةِ، ويبيِّنُ لهم فسادَ طلبهم، عسى أن يؤمنوا فيؤمن بإيمانهم خلقٌ كثيرٌ من الضعفاءِ والفقراء.. أولئك المغلوبين على أمرهم. قال نوح: ﴿**قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَآتَانِي رَحْمَةً مِّنْ عِندِهِ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمْ لَهَا كَارِهُونَ ﴿٢٨﴾ وَيَا قَوْمِ لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالاً إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ عَلَى اللَّهِ وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّهُم مُّلاقُوا رَبِّهِمْ وَلَكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ ﴿٢٩﴾ وَيَا قَوْمِ مَن يَنصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِن طَرَدتُّهُمْ أَفَلا تَذَكَّرُونَ ﴿٣٠﴾ وَلا أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلا أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ وَلا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي أَعْيُنُكُمْ لَن يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ خَيْرًا اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنفُسِهِمْ إِنِّي إِذًا لَّمِنَ الظَّالِمِينَ**﴾

[**هود**: ٢٨-٣١].

ثم ما كان ردُّ هؤلاء الكافرين إلا أن ﴿**قَالُوا يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ**

جدَالَنَا فَأْتنَا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيكُم بِهِ اللَّهُ إِن شَاءَ وَمَا أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴾[هود: ٣٢-٣٣].

إنَّ أمرَ اللهِ إذا جاءَ وعذابَه إذا وقعَ فلن ينفعَ حينئذٍ إيمانٌ، فآمنوا خيراً لكم، واغتنموا رحمةَ اللهِ وإمهالَهُ لكم قبلَ أن يغضبَ، ولكن تلكَ قلوبٌ جحدتِ الحقَّ بعدَ إذ عرفته فلم يعدْ يُجدي فيها نصحٌ، واستحقَّتْ غضبَ اللهِ وعقابَه الأليمَ الشديدَ، فلم يكتفوا بأن ضلوا بل أرادوا أن يُضلُّوا من بعدهم.

فقد وَصَّى الملأُ المستكبرونَ الضعفاءَ من قومِ نوحٍ، وألقوا إليهم الشُّبَه التي تبعدهم عن الإيمان به قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ مَا هَٰذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَائِكَةً مَّا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ بِهِ جِنَّةٌ فَتَرَبَّصُوا بِهِ حَتَّىٰ حِينٍ﴾[المؤمنون: ٢٣].

تفنيد حجتهم:

أين هي رغبته في التفضُّل والسيادة؟!

أنتم ترونَه وترونَ عبادته، وصيامَه وقيامه، واجتهادَه في عبادةِ ربِّه الواحدِ الأحدِ، الفردِ الصمدِ.

يُتعبُ نفسَه وبدنَه، ويزهُد في كلِّ ما حَوتْه يداه، ويؤثِرُ به أتباعَه رجاءَ الآخرةِ والنعيمِ المقيمِ فيها، ورضا اللهِ عنه. فأينَ هي إذن رغبته في أن يستحوذَ على الدنيا ويملكَ حُطامَها ويتفضَّلَ عليكم.

إلا أن الضعفاء الذين كفروا باعوا آخرتهم بدنيا غيرهم، وهذا منتهى الشَّقاء.

وما أشقى الجميعَ.. لقد استحقُّوا غضبَ اللهِ ولعنتَه، إلا نوحاً ومنْ آمنَ معه، وما آمن معه إلا قليلٌ..

المدة التي قضاها نوح في الدعوة:

تسعمائة وخمسونَ عاماً ونوحٌ يدعو قومه، لايَكِلُّ ولا يملُّ، وتسمعائة وخمسون عاماً وهم على عنادِهم وإصرارِهم وكفرِهم.. ومن ورائِهم إبليسُ يؤازرُهم ويعاضدُهم.. تسعمائة وخمسونَ عاماً وأتباعُ نوحٍ يَلْقَوْنَ العنتَ والشدَّةَ والإيذاء.

تسعمائةٍ وخمسونَ عاماً ونوحٌ يتَّبع معهم كلَّ أساليبِ الدعوةِ، وفي كلِّ الأوقاتِ يدعوهم، في السرِّ والجهرِ، بالليلِّ والنهارِ وهم يعرضونَ ويكذِّبون، بل يمنعونَ أنفسَهم من سماعِ دعواه أو النظر إليه.

نفوس عنيدة:

يضعونَ أصابِعهم في آذانهم، ويستغشونَ ثيابَهم، ويستهزئونَ به وبأتباعه.

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلاً وَنَهَارًا ﴿٥﴾ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلاَّ فِرَارًا ﴿٦﴾ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا ﴿٧﴾ ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ﴿٨﴾ ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ﴿٩﴾ فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَارًا ﴿١٢﴾ مَا لَكُمْ لا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴿١٤﴾ أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا ﴿١٥﴾ وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا ﴿١٦﴾ وَاللَّهُ أَنْبَتَكُم مِّنَ الأَرْضِ نَبَاتًا ﴿١٧﴾ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ﴿١٨﴾ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ بِسَاطًا ﴿١٩﴾ لِتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلاً فِجَاجًا﴾[نوح: ٥-٢٠].

طالَ العهدُ والأمدُ، وقستْ قلوبهم فقالَ لهم: ﴿يَا قَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُم مَّقَامِي وَتَذْكِيرِي بِآيَاتِ اللَّهِ فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلا تُنظِرُونِ ﴿٧١﴾ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ عَلَى اللَّهِ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾[يونس: ٧١-٧٢].

قال لهم نبيهم: يا قوم، إنني أدعوكم بكلِّ أنواع الدعوة، وأسفِّهُ آلهتَكمْ، وأحقِّرُها، وأنادي بأنها لا تستطيعُ لأنفسِها ولا لكمْ ولا لأيٍّ من خلقِ اللهِ نفعاً ولا ضراً، وأن الخيرَ والضرَّ كلَّه من اللهِ، لا يمسُكهُ أحدٌ ولا يمنعُه ولا يستطيعٌ، وأنتم تجحدونَ ذلك، فإن كانَ الأمرُ كما تقولون فأنا أتحدَّاكم وأتحدَّى هذه الأصنامَ التي اتخذتموها آلهةً أن تستطيعَ صرفي عن دعوتي أو إيذائي، فإن لم تستطيعوا ولنْ تستطيعوا، فاعلموا أنَّ اللهَ هو النافعُ الضارُّ، فآمنوا به وتعرَّضوا لرحمتهِ وانجوا من عذابه.

ومع هذا لم يُجْدِ كلامُ نوحٍ مع قومه شيئاً..

دعوة نوح على قومه واستجابة الله له:

هنالكَ دعا نوحٌ على قومِه بأنْ يهلكَهم اللهُ كلَّهم.

﴿قَالَ نُوحٌ رَّبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَاتَّبَعُوا مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلاَّ خَسَارًا﴾

[نوح: ٢١].

﴿وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لا تَذَرْ عَلَى الأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٦﴾ إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلا يَلِدُوا إِلاَّ فَاجِرًا كَفَّارًا﴾[نوح: ٢٦-٢٧].

واستجاب الله لدُعاء نبيه بعد أن اعتذر إلى ربه بكلام يفيض بالإيمان

﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا﴾[نوح: ٢٨].

اجتمعتْ على قوم نوح كلُّ موجباتِ اللعنة والعذابِ: كفْرٌ، وفسقٌ، وعنادٌ، وتجبرٌ، ودعوةُ النبيِّ عليهم بالهلاك.

أوحى اللهُ إلى نوحٍ أنه قد استُجيبَ له، وأنه قد قُضيَ الأمرُ، فلا تدركه بهم بعَد ذلكَ شفقةٌ ولا رحمةٌ.

﴿وَأُوحِيَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ آمَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾ وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ﴾ [هود: ٣٦، ٣٧].

﴿فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانتَصِرْ﴾[القمر: ١٠].

السفينة وسيلة النجاة بأمر الله:

أمر اللهَ نبيَّه نوحاً بأن يصنعَ سفينةً كبيرةً، فاستجابَ نوحٌ – عليه السلام – لأمر ربِّه، وأخذَ يقطعُ الأشجارَ، ويصنعُ منها الألواحَ، ثم يجمعُها إلى بعضِها بمساميرَ لتكونَ سفينةً كبيرة، كما أرادَ اللهُ وأمَر. وكان نوحٌ يفعلُ كلَّ ذلك وفقَ توجيهاتِ الله، وبأمره صابراً محتسباً – هو ومَنْ معه – عالماً بأنَّ الفرجَ والنصرَ وشيكٌ..

كانَ الكافرون من قومِ نوحٍ يمرُّون عليه صباح مساء، وقد انهمكَ هو وأتباعه المؤمنون في عمله، فيسخرونَ منهم، وهم الأحقُّ بذلك، قال تعالى: ﴿ **وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِّن قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ قَالَ إِن تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ ﴿٣٨﴾ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ** ﴾[هود: ٣٨، ٣٩].

ثم أتمَّ نوحٌ صنعَ السفينةِ كما أمرهُ اللهُ، وانتظرَ هو والمؤمنون فرجَ اللهِ ونصره.

طريقة إهلاك الكفار من قوم نوح:

ثم أرسلتِ السماءُ ماءً مدراراً، ففرحَ الكافرون، وبالغوا في استهزائهم بنوحٍ ومن معه، فها هو المطرُ ينزل عليهم بدونِ أن يؤمنوا بنوحٍ ولا بدعوته، وقد كانَ نوحٌ يقولَ لهم أن سببَ امتناعِ المطرِ هو الكفرُ والعصيانُ.

فتحَ اللهُ أبوابَ السماءِ بماءٍ منهمر، وفجَّر ـ سبحانه ـ الأرضَ عيوناً، ليلتقي ماء السماء مع ماءِ الأرضِ، ويُغْرِقَ كلَّ الكافرينَ، ويغسلَ الدنيا من دنسِهم، ونجا نوح ومن كان معه من المؤمنين بعد أن ركبوا السفينة التي صنعوها بأمر الله.

وجمعَ في سفينتهِ مِنْ كلِّ شيءٍ في الدنيا زوجينِ اثنينِ، وحمل معه كلَّ المؤمنين.

﴿ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلاَّ مَن سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ آمَنَ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلاَّ قَلِيلٌ ﴿٤٠﴾ وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ مَجْرِيهَا وَمُرْسَاهَا إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٤١﴾ وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَىٰ نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ الْكَافِرِينَ ﴿٤٢﴾ قَالَ سَآوِي إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلاَّ مَن رَّحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ ﴾ [هود: ٤٠ - ٤٣].

كذلك كان أغلب قومِ نوحٍ من الكافرين، وكذلك كان ابنُه الذي من صلبِه، الذي ربَّاه وعلَّمه ونشأَ في بيتِ النبوةِ، ولكن اللهَ يهدي من يشاء فطلب نوح من ابنه أن يصعد معهم في السفينة، لكنه أبى واستكبر.

عتاب الله نوحاً:

ثم دعا نوحٌ ربه لينجيَ ابنه؛ فعاتبَه ربُّه قائلاً له: ﴿ **إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ** ﴾ [هود: ٤٦] فالولاءُ هنا كلُّه لله والبراء لله.

ثم أذنَ اللهُ للسماء بأنْ تمسكَ ماءَها؛ وتقلعَ عن المطرِ، وأمرَ الأرضَ

أنْ تبلعَ ماءَها، وترجع كما كانت.. صالحةً لسُكنى الإنسانِ، وهبطتْ السفينةُ على جبل الجوديِّ.

نوح يهبط على الأرض هو ومن معه:

نزل نوح وأبناؤه المؤمنونَ الأرضَ، وقد تطهَّرتْ وتخلَّصت من الكافرينَ وفرحَ الكونُ كلُّه واستبشرَ بعهدٍ جديدٍ، فكلُّ مَنْ على الأرضِ مؤمنون.. وانزوى إبليسُ مخذولا متربصاً لبني آدم من جديد..

وجعلَ اللهُ الطوفانَ آيةً للناسِ لعلَّهم يعتبرون، وجعلَ بقيَّة البشر من ذرية ذلكَ العبدِ الشكورِ.. نوح عليه السلام.

قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ﴾[الصافات: ٧٧].

وفاة نوح عليه السلام:

وقد عاش نوح عمراً طويلاً في دعوة قومه، وبعد أن نجاه الله هو ومن معه عاش حياة ملؤها السعادة والنقاء، وعندما حضرته الوفاة، قيل له: كيف رأيت الدنيا؟ قال: كبيت له بابان دخلت من أحدهما وخرجت من الآخر.

OBEIKAN.COM

OBEIKAN.COM

الدُّروس والعبر المستفادة من قصَّة نوح عليه السلام.

١– عدم الغلو في تعظيم الأنبياء والصالحين.

٢– الحكمة من تحريم التماثيل والصُّور، واتخاذها في البيوت.

٣– الصبر في الدعوة إلى الله تعالى، وتحمُّل الأذى والمشاق في سبيل ذلك.

٤– الولاء لله ورسوله فقط.

٥– الاستغفار والعبادة لله والصلاح سببٌ لنزول المطر، والبركة في الأموال والأولاد.

٦– الكفر والمعاصي والذُّنوب سببٌ لحبس المطر؛ وحُلول العذاب.

٧– صِلة القرابة لا تنفع يوم القيامة شيئاً إلا مع الإيمان.

OBEIKAN.COM

OBEIKAN.COM

الفهرس

الموضوع	الصفحة
مولده ونسبه.	٥
من هم قوم نوح؟	٥
أحوال العالم قبل نوح.	٥
تكليف نوح بالرسالة.	٨
الدعوة إلى الخير.	٩
التوجه بالدعوة إلى الأشراف وغيرهم.	١٠
موقف الأشراف من الدعوة.	١١
موقف الضعفاء من الدعوة.	١١
جهاد نوح في سبيل الدعوة.	١٢
لا طبقية في الدين.	١٤
تنفيد حجتهم.	١٦
المدة التي قضاها نوح في الدعوة.	١٧
نفوس عنيدة.	١٨
دعوة نوح على قومه واستجابة الله له.	١٩

OBEIKAN.COM

الموضوع	الصفحة

السفينة وسيلة النجاة بأمر الله. ٢٠

طريقة إهلاك الكفار من قوم نوح. ٢١

عتاب الله نوحاً. ٢٢

نوح يهبط على الأرض هو ومن معه. ٢٣

وفاة نوح عليه السلام. ٢٣

الدروس والعبر المستفادة من قصة نوح عليه السلام. ٢٥

OBEIKAN.COM